جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

مقياس: مناهج البحث اللغوي.

السنة الأولى ماستر/ لسانيات. الأستاذ خيار نورالدين.

المحاضرة الرابعة: المدرسة التوليدية التحويلية

إرهاصاتها الأولى:

في نهاية العهد البلوموفيلدي، ظهر كتاب قيم جمع بين طياته كل ما يتعلق بالبنيوية الأمريكية تنظيرا و تطبيقا، بعنوان:" مناهج لسانيات البنيوية" لزليغ هاريسس Zellig Harris عام 1951.

حاول هاريس في مؤلفه هذا وضع جملة من المناهج البنيوية لوصف اللغة في إطار ما أسماه "منطق العلاقات التوزيعية" و رغم كونه من أحد اللامعين (يوجين نيدا– بايك– هوكيت) في مدرسة بلومفيلد التوزيعية، إلا أنه و بمرور الزمن تأكد من بعض نقائص التحليل التوزيعي، فحاد عنه و لجأ إلى فكرة التحويل.

لذلك يعتبر هاريس (أستاذ شومسكي) أول من نادى بالمنهج التحويلي في دراسة اللغة. وقد ظهر عنده هذا التوجه الجديد منذ 1952 في مقال له: "الثقافة و الأسلوب في الخطاب المطوّل" و قام هاريس بتطوير هذه النظرية التحويلية الجديدة في بعض مقالاته خاصة في الكتابين: البنى الرياضية للغة"، "أبحاث في اللسانيات البنيوية التحويلية".

و على خلاف بلومفيلد اعتمد هاريس مقياس المعنى و التوزيع لتحديد البنى الفونولوجية والتركيبية، أما فيما يتعلق بالتحويل فقد تطرق إلى مفهومي الجملة النواة والتركيب المحول وطورهما. و هما المفهومان اللذان تبناهما شومسكي فيما بعد، و أكد (هـ) أن ثمة تشابها كبيرا بين اللغات على مستوى الجمل النواة و اختلافا نسبيا على مستوى الجمل المحولة.

و استنادا إلى كل هذا فإن النظرية التوليدية التحويلية لم تنشأ من العدم خصوصا إذا عرفنا أن هاريس كان أستاذا لنوام شومسكي Noan Chomsky .

- **نشأة نظرية القواعد التوليدية التحويلية:**

استفادت هذه النظرية من النتائج التي توصلت إليها النحو التقليدي و الوصفي وأخذت بنقاط التفوق فيهما. كان شومسكي رغم انتقاده للنحو التقليدي في شكله العام وتعريفاته وقواعده الغامضة (بعده عن الاستعمال اليومي) قد أعلن أن هذا النحو يعطي تصورا أكثر ملائمة عن طبيعة اللغة. حيث يقول في كتابه " الليسانيات الديكارتية ": "... إن الفحص الدقيق للنظرية اللسانية الكلاسيكية، و نظرية العمليات العقلية المرافقة لها قد يثبت لنا في المستقبل أنه عمل ذو قيمة كبيرة Cartesian linguistics و يقول في موضع آخر: " إن نظرية القواعد التوليدية التحويلية في تطورها الحالي ما هي إلا نسخة حديثة و معدلة عن نظرية بور روايال".

بور روايال (1637- 1661) مدرسة فرنسية متأثرة بالمذهب العقلي ≠ التجريبي ق16 تأثروا بفكر ديكارت. من أعمالها: "النحو العام العقلي 1660- 1830 كان هدفهم إثبات أن بنية اللغة من نتائج العقل و أن اللغات البشرية المختلفة ما هي إلا أنماط تشعبت من منطق عام و نظام عقلاني واحد.

انتقد بشدة التفكير السلوكي للسانيات خاصة كتاب سكينر Skinner "السلوك الكلامي" (1957) في مقال له بعنوان: مراجعة كتاب سكينر فقد ذهب شومسكي غلى أن الإنسان لا يختلف عن الآلة أو الحيوان بالفكر و الذكاء فحسب بل بقدرته اللغوية، و أن سلوكه لا يمكن رصده و اكتشافه من خلال العمليات الشكلية التي اعتمدها الوصفيين.

فهو يعارض بشدة رؤية السلوكيين للإنسان على أنه كائن طبع غير حرو إن كل ما يفعله هو مجرد ردود أفعال لمثيرات خارجية، لأن هذا يحط من قيمة الإنسان و يحد من قدرته الخلاقة.

الفرق الجوهري بين شومسكي و الوصفيين هو أن شومسكي ينتمي إلى العقلانيين مثل أفلاطون، ديكارت، وهمبولت، الذين يعتقدون أن العقل في ذاته مصدر كل معرفة وهو أسمى الحواس، و أن هناك قضايا و متصورات مسبقة مكتسبة دون تجربة، و يقوم العقل من خلال بتفسير معطيات التجربة الإنسانية.

أما الوصفيون فقد تبنوا المذهب التجريبي(Locks)، (هيوم دافيد) الذي ينص على أن المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق التجربة المستمدة من الحواس.

و لذلك يرى أن الطفل يولد مزودا بمعرفة فطرية مجسدة فيما أسماه بجهاز اكتساب اللغة(Appareille d'acquisition).

في رأي شومسكي- البنيوية- اكتفت بوصف التراكيب اللغوية و تحليلها بطريقة شكلية متجاهلة دور المعنى (البنيوية الأمريكية). و لم تحاول تحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة و من ثمة فإنها لم تعر أي اهتماما للكفاءة اللغوية (الجانب الخلاق للغة) (اهتمامها بالبنية السطحية) و عدم تمكنها من وضع قوانين شاملة و تعميمات عميقة.

على عكس القواعد التوليدية التحويلية التي تعدت الوصف الشكلي إلى التحليل والتفسير و استنباط القواعد العامة التي تحكم اللغة.

بعض مفاهيم المدرسة التوليدية:

1. التوليد: (génération):

يمثل الجانب الإبداعي في اللغة، و هي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين و فهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم بما فيها الجمل التي يسمعها من قبل. و حسب شومسكي كل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة.

و يؤكد أن النظرية النحوية لابد أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة، و هو يميز بين القواعد التقليدية و البنيوية من حيث كون القواعد التقليدية تهتم بالجمل الفعلية التي وردت من قبل (مدونة جاهزة) لكن القواعد التوليدية تهتم بالجمل الممكنة الورود أو التي وردت من قبل وهذا يعود إلى أن المدونة مهما كان حجمها فهي لا تضم إلا عددا محدودا من الجمل في حين اللغة تتكون من عدد لا متناه من الجمل.

التحويل:

تحتل التحويلات مكانة رئيسية في قواعد شومسكي و تكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى بنى سطحية.

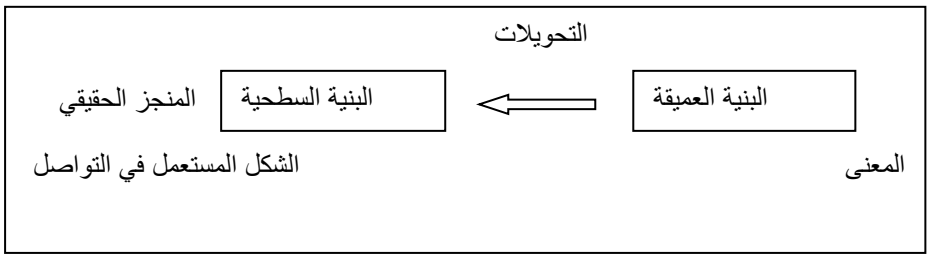

في "البنى التركيبية" 1957 ميز تشومسكي بين الجملة الأساسية التي أطلق عليها الجملة النواة، و الجملة المشتقة التي أطلق عليها الجملة المحولة، و وصف الجملة النواة بأنها بسيطة، تامة، صريحة، إيجابية، مبنية للمعلوم، أما الجملة المحولة فهي جملة تنقصها خاصية من خواص الجملة النواة و تكون إما استفهاما، أو أمرا، أو نفيا، أو معطوفة (غير تامة)، أو متبعة (Subordoné) أو مدمجة، و قال بأن التحويل يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة، و أتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبية(Obligatoire) أو جوازية (optionnel) منها: الاستفهام، النفي، الأمر، المجهول، العطف، الدمج، الاتباع، الزمن، الملحقات. (حسب السياق).

و بشكل عام فإن الطريقة المتبعة هي أنه بعد تطبيق القواعد التركيبية تطبق مباشرة قواعد التحويل على السلسلة النهائية لتشكيل الجلة المرادة. (وهي بذلك لا تخرج من إطار العمليات المستعملة بكثرة في الرياضيات) مثال: دعا الأستاذ الطالب.

الحذف: أ + ب←ب. دعا الأستاذ.

الإحلال: أ ← ب دعا الأستاذ المجتهد.

الزيادة و التوسع: أ← ب + ج دعا الأستاذ الطالب المجتهد بعد انتهاء الدرس.

الاختصار: أ + ب←ج دعاه.

إعادة الترتيب: أ + ب ← ب + أ دعا الطالب الأستاذ.

و كما ورد في " البنى التركيبية " تساعدنا القواعد التوليدية التحويلية على الجمل التي تبدو مماثلة و لكنها في الأصل مختلفة، و الجمل التي تبدو مختلفة و لكنها في الواقع متماثلة، و علاوة على هذه فإنها تلعب دورا كبيرا في فك الغموض الذي يكتنف عددا كبيرا من الجمل:

"Flying planes can be dangerous" و التي يفهم منها شيئان:

قيادة الطائرات قد تكون خطيرة– المركبات الطائرة قد تكون خطيرة.

مثال: ضربت زيدا ضاحكا (و أنا أضحك) الحال من الفاعل } تركيبين باطنين

ضربت زيدا ضاحكا (و هو يضحك) الحال من المفعول } مختلفين

الرجل و المرأة المسن(احتمال معنيين)

و تحليل القواعد التحليلية لمثل هذه التراكيب الغامضة يعتمد على تطبيق القواعد التحويلية الاختيارية، و معنى هذا أنه يتم اختيار معنى واحد من معنيي الجمل الغامضة. وذلك من أجل الضرورة فقط.

القواعد الصرفية الصوتية:

تطبق القواعد الصرفية و كذا الصوتية بعد تطبيق القواعد التحويلية على الجملة لتعطي الشكل المنجز فعلا و الذي ولدته القواعد التحويلية. أما القواعد الصرفية فهي التي تعطي الصيغة و الوزن النهائي للجملة المحولة، فالصيغة الصرفية التي تميز العنصر داخل الجملة تميز أيضا المعنى الحقيقي له و كذا الجملة، فصيغة الفاعل تختلف عن المفعول و صيغة المضارع تختلف عن صيغتي الماضي و الأمر.

أما بالنسبة للقواعد الصوتية فإنها تزودنا بالمعلومات عن الطريقة التي تنطق بها الجملة، مثال: أَخَذَ– أُخِذَ الصيغة الأولى تدل على المعلوم و الثانية على المجهول من خلال القاعدة الصوتية نتمكن من التمييز بين معنيي الفعلين و طريقة نطقهما.

الكفاءة اللغوية و الأداء الكلامي:

إن مفهومي الكفاءة (Compétences) و الأداء (Performance) اللذان ظهرا لأول مرة بطريقة جلية في مؤلف شومسكي "مظاهر النظرية التركيبية" (1965).

فالكفاءة تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد يقول: " الكفاءة اللغوية هي معرفة المتكلم– المستمع للغته" من خلال مجموعة القواعد التي تعلمها.

أما الأداء هو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية. فالكفاءة إذن نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي، و عليه فإنه غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة و هكذا فإن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا النظام و دراسته هي الاستبطان (Introspection) إذ يساعدنا على إصدار أحكام على كل الجمل من حيث صحتها النحوية و مقبوليتها.

و حسب شومسكي فإن اللساني و صاحب اللغة يتمتعان بقدرة لغوية تتمثل في الحدس (Intuition) تمكنهما من معرفة الجمل من حيث استبالتها و استقامتها من هنا يذهب إلى القول في "البنى التركيبية": "إن الجمل التي يولدها النحو لابد أن تكون مقبولة من قبل صاحب اللغة" "السّليقة".

و يمكن لصورة الكفاءة و الأداء أن تتوضح أكثر إذا علمنا أن المتعلمين –على العموم– يجيدون إجراء العمليات الحسابية و لكنهم إذا طلب منهم إجراء بعض العمليات فإنهم يحتاجون إلى زمن معين، و مع هذا فإنهم يخطئون أحيانا و على نحو مماثل فإن جل الناس يمتلكون مقدرة لغوية تمكنهم من استعمال اللغة استعمالا جيدا و لكنهم – عند التطبيق لهذه المقدرة خلال الكلام أو التلقي– قد يحتاجون إلى وقت للتفكير و مع هذا فقد

يرتكبون أخطاء، و حتى أثناء التلقي قد لا يفهمون بعض التراكيب و المفردات و تغيب عنهم أشياء كثيرة. كل هذا دفع شومسكي إلى التمييز بين الكفاءة و الأداء.

لقد أخذ شومسكي في التمييز بين الكفاءة و الأداء بتقسيم يقترب كثيرا من تقسيم سوسر للغة و الكلام.

لكن الكلام حسب سوسير ليست وظيفة للفرد الناطق و إنما هي نتاج يكتسبه الفرد انفعاليا و هي لا تفترض تصميما مسبقا أبدا و التفكير لا يدخل فيها إلا لنشاط تصنيفي. بينما القدرة عند شومسكي و الكفاية اللغوية تتصل بنشاط المتكلم و عمله و يقدم عليها لمعرفة العمليات الذهنية التي يقوم بها المتكلم قبل التلفظ.

لأن اللغويين المحدثين يرون أن القضية التي يجب دراستها هي الكلام المتداول لمعرفة المستعمل و المتحدث به فعلا.